الفصل الخامس

المرأة بين حقوق الزوجية والأمومة والعمل في المجتمع العربي السعودي

* المبحث الأول: المرأة في نظر الإسلام.
* المبحث الثاني: أوضاع المرأة في المجتمع المعاصر.

الفصل الخامس
المرأة بين حقوق الزوجية والأمومة والعمل في المجتمع العربي السعودي

تمهيد:

من المعروف أن المرأة في عالم الغرب بلغت شأواً عالياً من المعرفة والمهارة الاجتماعية والتربوية، واقتحمت ميادين كثيرة مع عالم الرجال، ومن ثم تغيرت فطرتها، ففقدت أنوثتها وأفقدت المجتمع الذي تعيش فيه حقوق الزوجية والأمومة والعمل، وفقد الأبناء حنان الأمومة، وأضر ذلك بالحياة الزوجية، واختلت موازين العمل، وأصبحت حضارة عالم الغرب، مهددة من قبل الحياة الأسرية غير المتوافقة.

ونتناول في هذا الفصل- بصفة عامة-، أوضاع المرأة في نظر الإسلام، والحال الذي وصلت إليه المرأة في المجتمع المعاصر بصفة عامة وفي المجتمع السعودي بصفة خاصة.

وإذا كنا قد أفضنا عن حقوق الزوجية والأمومة، في الفصول والمباحث السابقة، فإنه يتعين علينا أن نوضح آثار العمل على المرأة من وجهة نظر الإسلام ومن وجهة نظر المجتمع المعاصر.

ويضم هذا الفصل المباحث التالية:

١- المبحث الأول: المرأة في نظر الإسلام.

٢- المبحث الثاني: المرأة في المجتمع المعاصر.

المبحث الأول

المرأة في نظر الإسلام

تمهيد

يتسم المنهج الإسلامي بالشمول والكمال ويبتعد عن الجزئية في النظرة إلى الحياة والمخلوقات كما يهتم بالإنسان باعتباره المخلوق المميز الذي وقع عليه عبء الخلافة في هذه الأرض. ومن هذين الاعتبارين الشمول والاستخلاف تأخذ المرأة مكانها باعتبارها شريكاً للرجل في مهمة الخلافة، إذ لا يقوم العمران وتمتد الحياة إلا بهما متعاونين متكاملين، وما أجل القرآن في ذلك إذ يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء: ١].

ومن هنا خلقت المرأة من آدم وقطعت معه رحلة الابتلاء والصراع مع الشيطان، وتحملت معه المسؤولية كاملة في حالتي الاقتراف والمتاب. ومضت سنة الله عز وجل على تحملها المسؤولية كل حسب خصائصه وقدراته[1].

ومن الحضارات الأخرى ما أجحفت حق المرأة وحادت عن جادة الحق والإنصاف في النظرة إليها. فالإسلام جاء يُخلص المرأة من الأغلال التي

(١) أحمد محمد العسال: الإسلام وبناء المجتمع (مرجع سابق)، ص ص ١٧٩-١٩٠ (بتصرف).

قيدتها، والتفريط الذي مسخها، والإجحاف الذي نزل بها. وصدق الله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

حقوق وواجبات المرأة في الإسلام:

من حقوق وواجبات المرأة في الإسلام، ما سبق إيضاحه من حيث كونها زوجة وأماً.

والإسلام ينظر إلى حقوق وواجبات المرأة كما يلي:

١- إبطال النظرة الجاهلية واجتثاث آثارها من الناحية النفسية والعلمية وإبطال كل ما ترتب على ذلك في أمور الزواج والطلاق والميراث، والأمر باستقبال البنت والترحيب بها. يقول الرسول الكريم ﷺ: «من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات، أو بنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن - وفي رواية فأدبهن وأحسن إليهن وزوجهن - فله الجنة» (رواه أبو داود وابن حبان والترمذي).

٢- اعتبار مسؤوليتها وتوجيه خطاب التكليف لها كالرجل سواء بسواء.

والإنسان يشمل الذكر والأنثى. ومن هنا أوجب الإسلام عليها- كما أوجب على الرجل- معرفة العقائد والعبادات، ومعرفة الحلال والحرام في

المأكل والمشرب وسائر التصرفات، «ولا نعرف بينها وبين الرجل فارقاً دينياً في التكليف وأهليته سوى أن التكليف يلحقها قبل أن يلحق الرجل؛ وذلك لوصولها بطبيعتها إلى مناط التكليف وهو البلوغ قبل أن يصل الرجل إليه.

نعم رفع الإسلام عنها الإلزام ببعض التكاليف، لا لأنها غير أهل لها ولو فعلتها لم تقبل منها ولم تثبت عليها، ولكن أبيح لها تركها تخفيفاً عنها، وترخيصاً لها، وبعداً بها عن مزاحمة الرجال، وتفريغاً لها في خدمة البيت والإشراف عليه، ورعاية الأبناء. وذلك كما في صلاة الجمعة والجهاد، ولو أنها آثرت حضور الصلاة الجامعة أو دخلت الصفوف المحاربة لما كان عليها من حرج في الدين».

٣- مطالبتها بالعلم والعمل (طلب العلم فريضة على كل مسلم) والمسلم يشمل الذكر والأنثى كما قال العلماء، وقالت عائشة رضي الله عنها: «رحم الله نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين». ولن يكون «عمل صحيحاً إلا إذا إنبنى على علم وفقه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

ووُعِدَتْ بحسن الجزاء كما مر آنفاً، وجاء تقرير ذلك في معرض الهجرة والجهاد والابتلاء ليبين أنها قامت بدورها مع الرعيل الأول في تلك الميادين من أول يوم، فيقول الله سبحانه: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن

دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ....﴾ [آل عمران: ١٩٥].

وليقف المتأمل عند التعبير الإلهي ﴿بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ﴾ ليعرف كيف سما القرآن بالمرأة حتى جعلها بعضا من الرجل، وكيف حد من طغيان الرجل فجعله بعضاً من المرأة.

وقد حفظ لنا تاريخ الدعوة الأولى دور خديجة أم المؤمنين وسمية أول شهيدة في الإسلام وغيرهما. وسجل القرآن بيعة النساء، وقصة المهاجرات، وخروجهن للغزو والجهاد. قال البخاري في (باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال)، وروى عن إحدى الصحابيات قالت: «كنا نغزوا مع رسول الله ﷺ، نسقي القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة..».

٤-احترام رأيها واعتباره فيمن يتقدم لزواجها.

٥- مسؤوليتها العامة فيما يختص بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإرشاد إلى الفضائل والتحذير من الرذائل. وهذا من معنى الولاية التي تمت بمقتضى عقد الإيمان الذي يحتم النصرة والتآزر والتعاون والتناصح «وقد صرح القرآن الكريم بمسؤولية المرأة في ذلك الجانب، وقرن بينها وبين الرجل في تلك المسؤولية، كما قرن بينها وبينه في مسؤولية الانحراف عن واجب الإيمان والإخلاص لله وللمسلمين». يقول الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١] .

﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٧، ٦٨] .

ويقول الرسول الكريم: «الدين النصيحة قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم». ويعلق الشيخ شلتوت على ذلك فيقول: «إن مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي أكبر مسؤولية في نظر الإسلام. وقد سوى الإسلام فيها بصريح هذه الآيات بين الرجل والمرأة.

وإذن، فليس من الإسلام أن تكف المرأة عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، اعتماداً على ظن أو وهم أنه شأن خاص بالرجال دون النساء.

وليس من الإسلام أن تلقي المرأة حظها من تلك المسؤولية على الرجل وحده بحجة أنه أقدر منها عليه، أو أنها ذات طابع لا يسمح لها أن تقوم بهذا الواجب، فللرجل دائرته، وللمرأة دائرتها، والحياة لا تستقيم إلا بتكاتف النوعين فيما ينهض بأمتهما، فإن تخاذلا أو تخاذل أحدهما انحرفت الحياة الجادة عن سبيلها المستقيم. فليعلم ذلك نساؤنا ليفقهن حكم الله فيهن».

ونصحت المرأة عمر رضي الله عنه وهو على المنبر يخطب في مغالاة المهور، وقال قولته المشهورة: «أصابت امرأة وأخطأ عمر».

٦- أهليتها في التصرفات المالية والتجارية واحترام ملكيتها. فلا يحق لأي إنسان بعد رشدها أن يأخذ مالها أو يجبرها على التصرف فيه بغير رضاها، يقول الله تعالى: ﴿... لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢].

كما أن حقها في صداقتها: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ [النساء: ٤].

وفي الميراث: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧].

٧- كرّمها وهي ابنة في بيت أبويها بأن اهتم بتربيتها وتعليمها كما مر آنفاً، ثم كرّمها زوجة فأوصى بها. قال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»، وكرمها وهي أم، فكرر القرآن الكريم الوصايا بها بعد عبادة الله في أكثر من موضع، وذكر الرسول أن الجنة تحت أقدامها، وقدَّمَها على الأب في إحسان الصحبة، ورخص في التخلف عن الجهاد للسعي عليها وعلى الأب، ثم كرمها بوجه عام حين أمر بحفظ عرضها وصيانة حرماتها وحسن عشرتها في أكثر من آية وحديث.

هذا هو الإطار الفاضل الذي وضعت فيه المرأة في الإسلام والذي جاء

منسجماً مع النظرة الإسلامية الشاملة لأهمية دورها في بناء المجتمع الإسلامي ومشاركتها في صنعه، وقد تم ذلك عملياً خلال الفترات الحية في تاريخ الإسلام، وبهذا يحق لنا أن نقول: إن الإسلام هو المنهج الوحيد الذي أنصفها ووضعها في المكان العدل الذي تحقق به رسالتها ووجودها دون إفراط وتفريط.

وهذا هو ما يجب أن يكون عليه حال المرأة في المجتمع العربي السعودي.

المبحث الثاني

أوضاع المرأة في المجتمع المعاصر

تمهيد:

حتى نقارن بين الوضع الصحيح للمرأة في الإسلام، ووضعها في المجتمع المعاصر، نجد من يقول: إذا كانت هذه نظرة الإسلام للمرأة، وهذه مكانتها، وهذا دورها وتاريخها ومشاركتها في بناء المجتمع الإسلامي، فأين هي اليوم؟ وهو تساؤل في محله، وإجابته تتضح في تصورنا لواقعنا الفكري والاجتماعي. فالمرأة جزء من هذا الواقع ولا يمكن أن يشذ الجزء عن الكل، فإذا كان واقعنا صحيحاً حياً ينبض بالإيمان والقوة فلا بد أن تكون المرأة صاحبة نصيب فيه وجزء منه. وأما إذا كان مريضاً متفسخاً مقلداً تائهاً، فلا عجب أن تظهر آثار ذلك عليها وتتضح العلل الناجمة في محيطها ودائرتها، ومما لا يختلف عليه اثنان أن الواقع الحاضر في حياة الأمة المعاصرة بشكل عام مريض وبخاصة الواقع الفكري والاجتماعي[1].

آثار الغزو الأجنبي على سلوكيات المرأة المسلمة:

من ميادين الغزو الخطيرة التي نصبت لها الشباك وسلطت عليها السهام في المجتمع المعاصر، الجانب الاجتماعي، وأعان على ذلك عدة عوامل، منها:

١- تدني المجتمع الإسلامي ووصوله إلى درجة التقليد، وظهور ذلك

(١) أحمد محمد العسال: الإسلام وبناء المجتمع (مرجع سابق)، ص ص ١٨٥-١٩٠ (بتصرف).

بأجلى صوره في تخلف المرأة وعدم العناية بتعليمها وتربيتها حتى أصبحت نفسيتها فارغة خالية من قيم الإسلام. ومن هنا سهل غزوها والتأثير عليها، وكما قيل: المغلوب مفطور على تقليد الغالب، ومن لم يشغل نفسه بالحق شغلته بالباطل.

٢- دخول الحضارة الغربية بلاد المسلمين فاتحة غازية مستعمرة موتورة من الإسلام وأهله فكانت خطتها كيف تخرج المسلمين من إسلامهم، وكيف تخضعهم لطريقة الحياة الغربية حتى تظل لها السيطرة. وكان معها الوسائل الحديثة المؤثرة من تعليم وصحافة وسينما وغير ذلك.

٣- وكانت حاجة المسلمين للغرب شديدة في الجانبين العسكري والعلمي. فذهبت البعثات الأولى فنقلت عن الغرب تقاليده وآدابه، وعاد هؤلاء ينشرون التغريب في بلادهم

٤- الجاليات الأجنبية وما تقوم به من نشاط اجتماعي موجه ومركز وبخاصة لمن بيدهم مقاليد الأمور - بغية التأثير فيهم- وجذب عائلاتهم لتقليدهم. . مع وجود الداعي لذلك وهو تفوق المرأة الغربية في الجانبين التربوي والاجتماعي، وفراغ المرأة المسلمة وفقرها النفسي مما يدفعها إلى الإعجاب والمحاكاة كما أسلفت.

٥- اهتمام الغرب بالطوائف المسيحية في الشرق، وأخذ هذه الطوائف بأساليب الحياة الغربية ثم انتشار التعليم الحديث بينهم، وقيام هذه الطوائف باجتذاب أبناء المسلمين لمدارسهم، ثم تكوينهم الجمعيات النسائية ودعوة

المرأة المسلمة إليها واجتذابها بحجة الدعوة إلى مطالبها في الحرية والمساواة والاختلاط على نحو ما حدث في الغرب.

وإن دراسة جادة للجمعيات النسائية التي تكونت في الشرق الإسلامي ستضع أصابعنا على أشياء كثيرة، لتبين الصلة الوثيقة في البداية بين التبشير والطائفية من جهة، وبينها وبين التأثير على المرأة المسلمة من جهة أخرى.

وأقول: إن هذا كان في البداية، أما بعد تخرج أجيال من أبناء وبنات المسلمين في المدارس الأجنبية، فقد قامت المتخرجات المتأثرات بواجبهن وقدن الدعوة إلى التغريب!!

كيف تواجه المرأة المسلمة آثار الغزو المعاصر؟

إن المرأة المسلمة - وهي تواجه الغزو المعاصر بمخاطره وآثاره السلبية- عليها أن تختار بين طريقين:

١- طريق التغريب القائم على المادية والمتعة الذي يجعل منها أداة للتسلية والفتنة، فأذهب حشمتها وعفتها، وفرغ نفسيتها من الوازع الإيماني والأخلاقي، ووضع زمامها في يد أصحاب الأهواء والشهوات، ورجع بها إلى الجاهلية الأولى. وهي إن تولت ذلك الطريق - بعد أن تعرّت هذه الحضارة في ذلك الجانب وظهر بلاؤها وخبثها - فقد مسخت شخصيتها وكفرت بنعمة الله عليها وأحلت قومها دار البوار.

٢- طريق الإسلام وهو الطريق الذي غذيت به طفلة ونشأت عليه يافعة

وارتبطت به تاريخاً وحضارةً ومصيراً. وقبل ذلك وبعده هو الحق الذي يوافق الفطرة ويزكيها ويسعدها. إن مسؤوليتها ثقيلة وليست سهلة ولا بسيطة، ذلك أن حضارة أخرى وفلسفة أخرى على النقيض في الروح والاتجاه والأخلاق قد حلت بواديها وأجلبت بخيلها ورجالها وأزيائها وصحافتها وإعلامها ودخلت إلى الصميم في قلوب كثير من المنتسبين إلى الإسلام وأمته، ولكن مما يسهل الأمر وييسره على المرأة المسلمة أصالة الإسلام وحيويته وارتباط الفطرة به وقدرته على الإمداد من جهة، وإفلاس الحضارة الغربية وانهيارها من جهة أخرى، والسؤال الآن: كيف تواجه المرأة المسلمة هذا التحدي الذي يغزوها في عقر دارها؟

وقبل أن نسارع إلى الإجابة لا بد أن نبين أن هذا التحدي ليس قاصراً عليها وحدها، وإنما هو موجه إلى المجتمع كله برجاله وشبابه، بعلمائه ومفكريه، ولا بد لهم أن يوحدوا جهودهم، ويبذلوا فكرهم في حل المشكلات التي تواجه المرأة المسلمة.

مقومات النهضة ومواجهات المرأة المسلمة:

كيف تواجه المرأة المسلمة مقومات النهضة المعاصرة؟

يتأتى ذلك وفق ما يلي:

١- أن يعاد بناء المرأة المسلمة وفق الأصول الإسلامية الصحيحة وتتربى على ذلك، ولا بد أن ندرك أن ذلك يحتاج وقتاً وجهداً وممارسة وعلماً وتدرجاً، فما وجد أحد حلاوة الإيمان إلا بتذوقه، وما أدرك إنسان نفاسة

الشيء وتقديره إلا بفهمه، فمن جهل شيئاً عاداه، وفاقد الشيء لا يعطيه.

٢- أن تتكون لديها - عن طريق هذا الفهم وتلك الممارسة- القدرة على فحص الأفكار ونقدها ووزنها بميزان الإسلام فتستطيع أن تختار النافع وتتجنب الضار فلا تصبح محلاً للاستهواء الرخيص كما هو حادث الآن في المجلات النسائية، ولا للتقليد الهدام المدمر كالعبث الذي يقوم به مصممو الموديلات وبيوت الأزياء.

٣- أن يتعاون المفكرون والعلماء المسلمون على إيجاد تيار إصلاحي تقوم فيه المرأة المسلمة بدور يوافق خصائصها ويخدم دينها ويقدم البديل أمام تيار التغريب في مجالات تربية الطفل وتنظيم البيت وتنمية المجتمع وما يغطي ذلك من كتب نافعة ومجلات متخصصة.

ففي ضوء هذه الأمور الثلاثة، الموجزة كل الإيجاز، والتي تحتاج كثيراً من التفصيل، يمكن أن تواجه المرأة المسلمة التحدي، فتنقذ نفسها ومجتمعها وتهدي غيرها.